انهم يسرقون تراث العراق على ضوء الكيروسين

إنها عملية لا تحتاج إلى تكنولوجيا أو إراقة دماء .. لكنها جريمة تحرم الإنسانية من جذور وجودها في سكون الليل عبر جنوب العراق يسطو لصوص المقابر بانتظام على كنوز أثرية لم يكتشفها أحد منذ آلاف السنين.

على ضوء مشاعل الكيروسين وبالمعاول تنقب عصابات مسلحة في الرمال المتحركة على أطراف سهل الفرات جنوب بابل ويسرقون تحفا مدفونة مع أسرات سومرية منذ ٥٠٠٠ سنه.

وقبل أن يحدد أثريون مواقع التنقيب في سهل النهر يكون لصوص قد عاثوا فسادا في قصور ومعابد ومقابر قديمة تحمل مفاتيح حضارات تضرب في عمق التاريخ .

ولما كان الأثريون لا يعرفون تحديداً ماذا كان هناك فان أحداً قد لا يعرف اطلاقاً ماذا فقد مما يعني أن اللصوص يسرقون التاريخ حتى قبل اكتشافه.

قال عبد الأمير حمداني مدير الآثار في محافظة ذي قار وهو يتفقد سرقات حديثة في مستوطنة دوبروم السومرية بالقرب من قرية ضاهر" إنها جريمة ضد الإنسانية" .

وأضاف وهو يمسك ببقايا اناء من الفخار يرجع إلى عام ١٨٠٠عام قبل الميلاد تقريباً تركتها اللصوص لاعتقادهم أنها لا قيمة لها " أننا نتفقد تراثنا وقطعا من حضارتنا".

ويشير محققون إلى سلسلة تبدأ باوامر تصدر إلى اللصوص لنهب مواقع معينة وتسلم التحف إلى تجار يقومون بتهريبها إلى أصحاب مجموعات في الشرق الأوسط وآسيا وأوروبا والولايات المتحدة.

وأكثر التحف طلبا الواح الكتابة المسمارية وأخري من الصلصال تحتوي على اصل الكتابة وأختام رسمية وتماثيل صغيرة وحلي برونزية.

ويقول حمداني أن اللصوص وهم عادة فقراء من الريف يعرفون مواقع الآثار يحصلون على النزر اليسير من قيمة هذه التحف بحيث لا يزيد ما يتقاضونه عن اللوح الواحد عن ١٣ دولاراً.

قال وهو يهز رأسه " سيباع الواحد بآلاف الدولارات . ولكنها في الحقيقة لا تقدر بمال".

يقول حمداني " يوجد أكثر من ٧٠٠ موقع وهناك نحو مليون لص محتمل .. ومهما كانت جهودنا فإنها ليست كافية ".

وقبل عام وبعد إحتلال العراق بقليل ركز أثريون اهتمامهم على متحف بغداد الوطني الذي سرق منه اللصوص مئات من تحف قيمة لا تقدر بثمن منها تماثيل قديمة ونقوش بارزة وحلي أكادية وأختام سومرية أسطوانية.

وأكثر التحف قيمة مثل كنوز نمرود الأسطورية تمت استعادتها أو وجدت مكدسة في خزائن البنك المركزي العراقي .

ونظرا لأن اغلب الآثار مسجلة في كتالوجات فقد أمكن استعادتها من الخارج.

وستنظر محاكم في الولايات المتحدة وسويسرا دعاوى قضائية لاستعادة كنوز عراقية تم تهريبها إلى الخارج.

ولكن هذا بالنسبة لتحف معروفة فماذا عن قطع لا يعرف أحد بوجودها .

إنها خسارة لا تقدر بثمن ويصعب أن يتحملها مؤرخون أو أثريون.

قال ماريو بوندبولي أوسيو كبير المستشارين بوزارة الثقافة العراقية والرئيس السابق للجنة الإيطالية لاستعادة الفنون المسروقة " فقدان هذه الأشياء يعني فقدان مصدر هويتنا .أنه مثل فقدان أم الحضارة".

ألف صنف وصنف في متجر الحاج سلطان

■.. متجر عام ومصنع للزجاج وسجاجيد وبنادق ومسدسات وفضة ونحاس وخشب والات موسيقية وأشياء قديمة.

لافتة لالف صنف وصنف من أفغانستان والخارج بمتجر الحاج سلطان القديم المترب بالقرب من المسجد الجامع المهيب الذي شيد في القرن الثالث عشر.

يخطو الزوار بحذر بين أكوام السجاد الافغاني والايراني وملابس قبلية وكوفيات وسروج بدوية ومختلف أنواع المسابح.

وفي جو من العراقة يشاهدون مصنوعات من البرونز وسيوفا تركية بمقابض عاجية ومسدسات وبنادق عتيقة واخرى حديثة نوعا ما مصنوعة في روسيا.

ويمكن للزوار الجلوس وتناول الشاي والقهوة بعد جولة في المتجر.

ولكن وسط كل هذه الاشياء القديمة والحديثة نسبيا فان حرفة الحاج سلطان الحقيقية ابداع قطع من الزجاج الملون يدويا في مصنع صغير بشارع جانبي.

قال ان تجارة عائلته في هذه المدينة القديمة بغرب أفغانستان واحدة من حرف قليلة لا تزال باقية منذ آلاف السنين. كان أبي وجدي وأبو جدي يصنعون الزجاج.

ويطل المتجر بارضيته الترابية وسقفه الذي اسود بدخان الخشب المنبعث من فرن من الصلصال يستخدم لتشكيل الزجاج المنصهر.

وينفخ راز محمد احد اقرباء الحاج سلطان في انبوبة طويلة لتشكيل أباريق وكؤوس وزهريات وأطباق من كتل الزجاج المنصهر. ويعمل بمهارة الحرفي المتمرس وفي ثوان معدودة يبدع زهرية أو كأسا.

ويجلس القرفصاء بجانبه ابنه سامين وهو في الثامنة يؤجج النار في الفرن. ويأمل ان يرث حرفة والده في المستقبل.

وزجاج هرات مشهور بامتيازه ولا تشبه أي قطعة منه أخرى وجميعها مملوءة بفقاعات الهواء حتى يمكن تمييزها في عصر الانتاج الالي الضخم.

قال الحاج سلطان نحاول الحفاظ على هذا التقليد لاننا نصنع أشياء قيمة. واذا حاولت العثور على زجاج مثل هذا فيجب ان يكون عمره ١٠٠٠ سنة على الاقل ويكلف الاف الدولارات.

وأضاف انه يستخدم زجاجا اعيد تدويره لان الحجر الرملي الذي كان يصنع منه الزجاج في الماضي لم يعد متاحا. وقال ان اضافة النحاس يعطي الزجاج اللون الازرق الذي تشتهر به هرات منذ زمن طويل والحديد يضفي اللون الاحضر والذهب اللون الاحمر القاني ولكن الطلب عليه قليل بسبب الاوضاع الاقتصادية الحالية.

ويأمل الحاج سلطان /٥٨ سنة/ وان بدا أكبر عشر سنوات لما عاشه من صراعات وحروب في بلاده في العقود الثلاثة الاخيرة ان تحيي عملية السلام التي بدأت بعد الاطاحة بنظام طالبان في ٢٠٠١ صناعة السياحة التي يتذكرها من أيام الرئيس محمد داود في السبعينات والملك ظاهر شاه من قبله.

ويذكر انه في الستينات والسبعينات كانت أفغانستان وهرات نقط توقف للهيبز على الطريق البري من أوروبا الى اسيا. قال الحاج سلطان وقد ومضت عيناه فوق لحيته الرمادية اتذكر هذا جيدا.

جاءوا من مختلف أنحاء العالم.. كنديون ويابانيون وصينيون وألمان واسرائيليون وهولنديون. كنا نستقبل من ١٠٠ الى ١٥٠ زائرا يوميا.

واصبح القطاع الافغاني من هذا الطريق جزءا من التاريخ بعد الغزو السوفيتي لافغانستان بعد عام من اغتيال الرئيس داود في ١٩٧٨، وقد أغلق متجر الحاج سلطان ١٤ عاما وأمضى وقتا في السجن.

والان يزور أفغانستان عدد قليل جدا من السياح الاجانب منهم عمال اغاثة أو صحفيون. ولكن الحاج سلطان نجح في اقامة سوق مزدهر في كابول يجتذب مئات الاجانب الذي يعيشون حاليا في عاصمة افغانستان ويمتلك متجرا اخر في باكستان.

المراحيض ستدار الكترونيا في اليابان

تصور انك عندما تعود إلى بيتك من العمل يستقبلك إنسان الأسرة الآلي الذي يتعرف على صوتك ويذكرك بانك نسيت عيد ميلاد زوجتك أو أن المستشفى اتصل بك على الهاتف.

تدخل غرفة المكتبة وتلمس لوحة فتظهر رسائل لك بالصوت والصورة على شاشة كبيرة ويبلغك طبيب " قرأت تحليل بولك على الإنترنت . انك بدين جداً . ومستوى السكر في دمك عال وأنت تشرب كثيراً من "الجعة".

قد يبدو هذا مثل فيلم كارتون مشهور من الخيال العلمي في الستينات أعطى لمحات عن مجتمع في عام ٢٠٦٢م ولكنة حلم ينتظرتحقيقه قبل هذا بكثير.

تضخ شركات يابانية من توتو للحمامات إلى عملاقة الإلكترونيات ماتسوشيتا الملايين لتطوير منتجاتها لبيت المستقبل حيث تعمل كل الأجهزة عن طريق شبكة إلكترونية في أي وقت ومن أي مكان .

قال تيتسوجي ميانو رئيس مكتب التخطيط بشركة ماتسوشيتا للأعمال الكهربائية " نظرا لأن المعلومات المتاحة ستزداد جداً، سيتوقف الكثير على القدرة على البحث بذكاء.

" ولكني اعتقد أن حياة الإنسان ستتحسن من حيث توفير الوقت وتكاليف السفر".

وماتسوشيتا للأعمال الكهربائية تتبع الشركة الأم ماتسوشيتا للصناعات الكهربائية التي تنتج أجهزة باناسونيك الإلكترونية.

وبينما يثير بيتاً مزدحماً بالأجهزة الإلكترونية موضوعات مهمة مثل سرية المعلومات فان بيت المستقبل سيكون أكثر رفقاً بالعجائز والمعوقين وأيسر بالنسبة للبيئة واقوى اتصالاً بالخارج.

وتعرض ماتسوشيتا للصناعات الكهربائية تصورها للبيت بعد ٢٠١٠م في مقرها بطوكيو.. إنسان إلى ناطق ومكتبة تبدو مثل قمرة القيادة في مركبة فضائية وفاحص إلكتروني عند الباب الخارجي.

وتعمل غرفة الطعام بأحدث تكنولوجيا ويتصل بها مطبخ به منضدة عليها شاشة تعرض صوراً من جهاز أسفلها. وعلى الجدار شاشة عرض كبيرة ومكبرات صوت زجاجية. تجلس العائلة إلى المنضده المتصلة بالإنترنت ويستطيع أن يفتح أي عضو الصفحة المطلوبة على الشبكة . ويستطيع أعضاء الأسرة ترتيب رحلات أثناء جلوسهم إلى المائدة الإلكترونية .

وتقول ماتسوشيتا أن الاتصالات في بيت المستقبل ستكون أكثر تفاعلا وأجهزة الكمبيوتر أكثر تطورا وتعمل باللمس.

ولكن بزبائن لا يرغبون في دفع مزيد من النقود لمثل هذه المنتجات وأمور تكنولوجية لم تحل بعد فان رؤيا ماتسوشيتا لا تزال بعيدة بعدة سنوات.

والآن تقوم الشركة ومقرها أوساكا بإختبار خدمة إسمها " شبكة كوراشي" على نطاق محدود في إقليم كانساي بغرب اليابان .

تسمح هذه الخدمة لزبائن بالتحكم في أجهزة مثل مكيفات الهواء أو الميكروويف عن طريق لوحة صغيرة أو هاتف محمول . وهذه يعني أنه يمكن للمرء تشغيل جهاز التكييف في بيته وهو في الطريق أو استخدام الهاتف المحمول لتشغيل الفرن وتجهيز العشاء بمجرد خروجه من مكتبه.

وتقدم شبكة كوراشي وهي كلمة يابانية معناها حياة المنزل أجهزة أمن حساسة تبلغ الهاتف المحمول لصاحب البيت أن باباً أو بياكا لا يزال مفتوحاً.

ولكن ربما الحمام أكثر مكان يحظى بآخر صحية في تكنولوجيا البيت. يزدحم بأحدث الإلكترونيات.

وبينما الحمامات الغربية ليس بها سوى جهاز واحد ألا وهو جهاز الطرد / السيفون/ فان الحمام الياباني مكيف الهواء ويعمل السيفون / والبيديه/ بالتحكم عن بعد.

وتبيع شركة توتو مقعد حمام يحلل بول من يقضى حاجته ليحدد مستوى السكر.وهي خدمة مفيدة لمرضى السكري.

ويقول مسؤولون بشركة توتو اكبر صانعة لأجهزة الحمامات في اليابان: أنهم يبحثون إنتاج مقعداً يختزن بيانات عن مريض السكري وهو يقضى حاجته ويرسله إلكترونيا إلى الطبيب المعالج.

وقال كاورو نوجامي المدير العام لأبحاث وتطوير الحمامات في توتو " نجري دراسات بالتعاون مع شركة اتصالات عن كيفية تخزين البيانات في الحمام ونقلها بأمان إلى الطبيب".

وقال: أن صناعة هذا المنتج تستغرق ثلاث سنوات ،أضاف: أن إنترنت الوقت الحالي ليست مؤمنة بطريقة كافية ويمكن إختراقها . ومن الأمور الصعبة إيجاد شبكة غير قابلة للإختراق.

وستكون حماية معلومات الزبائن الخاصة من أكبر القضايا القانونية لمنتجين مثل توتو وشركات إلكترونيات أخرى تتطلع إلى ابتكار بيت يعمل كله بالتكنولوجيا الحديثة.

في «أربعاء أيوب» بمصر

يغتسلون بماء المتوسط طلباً للشفاء والزواج

احياء لتقليد يعود إلى مئات السنين يرتاد ألوف من المصريين عصر الثلاثاء شواطئ مدينة العريش بسيناء ليغتسلوا بماء البحر المتوسط فيما يسمى«أربعاء أيوب» يقوم التقليد على إعتقاد بأن فعل ذلك يوم الثلاثاء الذي يسبق عيد شم النسيم يشفي من الأمراض ويحقق أمنيات الزواج و،الإنجاب.

وتقول اسطورة برويها أبناء مدينة العريش أن النبي أيوب الذي إبتلي بأمراض كثيرة طلب من الله الشفاء وعندما نزل في بحر العريش شفي تماماً.

وقال عيد مرزوقة أحد شيوخ بدو سيناء: يبدأ الإحتفال بأربعاء أيوب بعد عصر يوم الثلاثاء السابق لعيد شم النسيم.

ويضيف: يتوافد المئات من أبناء سيناء ومحافظات أخرى ومن دول عربية إلى شاطئ العريش على البحر المتوسط وقبل مغيب الشمس يندفع الجميع إلى مياه البحر للإغتسال إعتقاداً منهم بأن الشمس ستأخذ معها الأمراض وهي تغيب وأنها ستحقق الأمنيات. ويبقون في الماء إلى أن يختفي قرص الشمس وراء الأفق.

وشم النسيم أو عيد الربيع تعود جذوره إلى أيام الفراعنة ويحتفل به الجميع مسلمين ومسيحيين يوم الإثنين التالي لعيد القيامة المسيحي.

وقال مسعد بدوي أحد أبناء المنطقة: أربعاء أيوب موروث شعبي يحافظ عليه أهالي المنطقة جيلاً بعد جيل.

وقالت فتحية علي من مدينة الإسماعيلية التي تبعد عن العريش نحو ١٨٠كيلو متراً: سأحضر الإحتفال لأن إبنتي متزوجة منذ عامين وتأخر حملها وأضافت أن شقيقتها كانت تعاني من مرض جلدي منذ سنوات وعندما نزلت إلى البحر في العام الماضي شفيت منه.

أما محمد الكاشف عضو مجلس الشعب عن العريش فيقول أن مواطنين وأشقاء من دول عربية من فئات عمرية مختلفة يحضرون الإحتفال الذي كان يقتصر في الماضي على كبار السن الذين يحضرون بنية الشفاء من الأمراض. أما الآن فالاحتفال يضم أطفالا وشباباً وفتيات يطلبن الزواج.

وقال حاتم عبد الهادي عضو مجلس إدارة متحف التراث السيناوي إن تبرك البدو بالبحر قديم إذ كانوا يذهبون إليه وينصبون خيامهم ويعقلون إبلهم وخيولهم ويذبحون أغنامهم في أوقات معلومة من السنة ويلقون بجلود الذبائح ورؤوسها وأرجلها في البحر بإعتبارها «طعام البحر » ثم يطبخون باقي اللحوم ويأكلون منه ويطعمون المارة وقال أنه أشيع خطأ أن النبي أيوب أقام في سيناء عند شاطئ البحر المتوسط واغتسل يوم الأربعاء فبرئ من مرضه وهي رواية تتناقض مع الآية القرآنية «هذا مغتسل بارد وشراب» أي أنه إغتسل في ماء عذب وليس ماء البحر.

وأضاف أن قبائل «السواركة» و «البياضين» و«الأخارسة» كانت قديما تاتي للزيارة من الغروب إلى صباح اليوم التالي وتذبح الماشية في أي مكان على شاطئ البحر بين رفح والشيخ زويد والعريش.

الدعابة لا تثير الضحك دائما

سأل رجل أعمال أمريكي مترجمه لماذا إنفجر جمهوره الياباني في الضحك على نكتة عادية قالها فأجابه المترجم النكتة لم تكن ملائمة.. لذا لم أترجمها. وقلت للجمهور ببساطة.. السيد قال نكتة .. من فضلكم اضحكوا.

ومن الشائع أن يتجنب المترجمون ترجمة الدعابة.

قالت شيدا هودج التي تعمل مديرا إداريا عالميا لقسم التواصل عبر الثقافات بشركة برليتز إنترناشيونال في برينستون بولاية نيو جيرزي لا بد من الحذر فيما يخص النكات. إنها لا تترجم من ثقافات لأخرى .

وتابعت تقول الشائع لدى الأمريكي ان يبدأ خطابه بنكتة، وأضافت عندما يلقي الأجانب كلمات هنا يرغبون أيضا أن يبدأوا كلامهم بنكتة لكن ذلك لا يفلح أبداً لأن أسوأ شيء هو أن تقلد شعباً آخر أو الفوارق الثقافية الدقيقة.

أن ما يفعل وما لا يفعل في الثقافات الأجنبية يمكن أن يصبح معقداً بالنسبة للمسافرين الذين يحتاجون معرفة المحرمات فيما يتعلق بنوع الجنس واللغة الدارجة ولغة الجسد.

قال ستيف نور كلايف المدير التجاري لمركز مؤتمرات الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا في لندن الدعابة شيء نحتاجه جميعاً لنجعل حياتنا أفضل لكنها من الممكن أيضاً أن تجعل الحياة أسوأ إذا أسيء إستخدامها.

وتابع: قد يظن المرء أنه إذا عرف شعباً بعد قضاء فترة طويلة من الوقت هناك لكنه لا يستطيع متابعة العادات والأفكار الأحدث بسرعة كاملة.

قالت باتي وود وهي متحدثة ومدربة دولية أنه قد ينظر للدعابة في بعض الثقافات على أنها عدوان أو هيمنة وقد يكون خروجاً على التقاليد أن تقول إمرأة نكتة.

وقالت وود التي يطلق عليها ايضاً لقب(سيدة لغة الجسد) إن الإبتسامة ليست بالضرورة علامة قبول . وأضافت بالنسبة للصينيين واليابانيين والماليزيين فإن رسم إبتسامة مع جذب جانبي الفم لأسفل هي طريقة مهذبة لإبلاغ المرء بأنه يفعل شيئا غير مناسب.

وتلعب الأعين أيضاً دوراً في التواصل عبر الثقافات.

ويعترف أد روجيرو وهو مؤلف ومتحدث رئيسي في موضوع القيادة الأخلاقية أنه واجه لحظات حرجة حين كان يخاطب شعب تشوكتاو في مجمع للملاهي في المسيسيبي.

وقال: عندما كنت أحاول أن تلتقي عيناي بعيني شخص ما فكان نظر أو تنظر إلى أسفل . وفي وقت لاحق فسرت إمرأة الأمر بأن الشوكتاو لا يحبون النظر إلى الغرباء في أعينهم.

وقالت هودج أن الجمهور كله قد يغمض أعينه في بعض الثقافات الأسيوية وقالت: غير أن ذلك لا يعني سوى أنهم يركزون فيما قال وعلامة على الإحترام .

من المهم بذل جهود في فهم الثقافات الأخرى لكن محاولة التواؤم مع السكان المحليين يمكن أن يؤدي إلى حرج للجانبين.

وتوافق وود أن الدعابة تختلف من دولة لأخرى.

وقالت : نميل نحن الأمريكيين لتقديم قدر كبير من الدعابة لأننا نميل للفردية.

ولايزال من الممكن قبول السخرية من العرق أو النوع في بعض مناطق العالم لكن يجب الإبتعاد عنهاتماماً في إجتماعات رجال الأعمال وإلقاء المحاضرات في الولايات المتحدة.

قالت هودج: أحياناً يلقى الأوربيون نكاتاً تنطوي على تلميحات جنسية لكن ذلك غير مستحسن لدى الأمريكيين. والنكات العرقية ممنوعة.

والحل بسيط في رأي روجيرو الذي يقول لا تستخدم النكتة. استخدم الدعابة. النكتة تتطلب تجاوبا لكن حين تقول شيئاً فيه دعابة سيضحك بعض الناس على الأقل.

وإذا فشلت النكتة فإن لغة الجسد قد تعلو على الكلمات.

قالت وود: ينظر إلى ضم الذراعين إلى الصدر على أنك تضع حاجزاً بينك وبين المتحدث .

ومع هذا تظل هناك أوقات لا يجدي فيها ما تتكبده من مشقة لفعل الصواب لأنه يضيع في الترجمة.

الرئيس التركماني يحظر اللحى والشعر الطويل والأسنان الذهبية

بعد أن اتخذت تركمانستان خطوات نحو حظر إطلاق اللحى والباليه والسيرك، طلب زعيمها من الشعب التخلي عن زرع الاسنان الصناعية الذهبية بدلاً من الأسنان البيضاء.

وتركزت عين الرئيس صابر مراد نيازوف الإثنين الماضي على طالبة كانت تقرأ خطبة ترحيب به بإحدى الجامعات المحلية بينما بدا من بين شفتيها طقم كامل من الأسنان الذهبية.

وبث التلفزيون لقطات للرئيس وهو يخاطب الطالبة بإسمها قائلاً: سبيل جان لا تغضبي. تبدين رائعة بالأسنان الذهبية لكنك ستكونين أروع بكثير في الأسنان البيضاء مضيفاً: معنا هنا وزير الصحة و هو طبيب أسنان. سيعطيك أسناناً بيضاء.

وقال نيازوف الذي يعتبر نفسه زعيم حركة التحديث: أعرف أن هذه البدعة تفشت حينما كان التركمان يعيشون في فقر مدقع.

واعتبرت تصريحات مشابهة أدلى به نيازوف في الماضي بمثابة قانون. ففي وقت سابق من هذا العام أعرب عن عدم ارتياحه لإطلاق الطلبة من الذكور للحى والشعر الطويل وهي مظاهر مالبثت أن إختفت من الجامعات بعد ذلك .

وظل التباهي بالأسنان الذهبية لوقت طويل في آسيا الوسطى في حقبة ما بعد الإتحاد السوفيتي أحد مظاهر علو المكانة الإجتماعية و الثراء النسبي ويلجأ العديد من الشباب إلى شراء الأسنان الذهبية حتى وإن كانت أسنانهم الطبيعية في حالة جيدة.